ذلك الحلوم العقبة نسمى عجوزا **اقول** هكذا تكون الادبا العارفون بلغة العرب المحكمون لمعنى
الحقيقة والمجاز هل هذا الا هوس وهذيان وقد صرح الايمة بان الشباب حقيقة عبارة عن كون الحيوان
نحو من تكون حرارته الغريزية فيه مشبوبة اى قوية مشتعلة وعبر عنه بعض اللغويين بان قال
الشباب حداثة السن ومعلوم ان ذلك انما يكون فى الحيوان وكذا الكهل والشيخ والعجوز من الصفات
التى لا تطلق حقيقة الا على حيوان فكيف يرضى عاقل لنفسه بان يقول الدنيا من اول وجود النوع
الانسانى نحو ويسطر ذلك فى كتاب ينقل عنه جيلا بعد جيل **قال** عند الكلام على قوله

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها ٭ فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

غالى فاعل من المغالات فهو فعل ماض والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم
ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير ذلك فى كقوله تعالى يخادعون الله والمخادعة ممنوعة من جانب الله
فهو من جانب الخلق لا غير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير الف وهو حمزة والكسائى **اقول**
المفاعلة لا تكون الا بين اثنين هذا فى الغالب وقد يات فعلها متعلقا بالواحد فيكون بمعنى فعلت
نحو سافرت لكن اذا وردت صيغة يمكن حملها على الغالب والقليل نحملها على الغالب اولى وفى الاية
الشريفة يمكن حمل الصيغة على المفاعلة الغالبة مع اعتقادنا ان الخداع ممتنع على الله تعالى وتقرير ذلك
ان نقول لا شك ان اهل السنة تعتقد استحالة كون الله تعالى مخدوعا ويمتنع ان ينسب الخداع اليه
لما يوهم ظاهره من انه انما يكون عن عجز عن المكافحة واظهار المكتوم هذا هو المعهود منه فى الاطلاق
ولكن حيث اطلقه الله تعالى معادلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا انه فعل معهم
فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة والا فهو قادر على هتك سترهم وانزال العذاب بهم رأى العين
وكذلك الخداع المنسوب اليهم على سبيل المجاز حيث تظاهروا بالايمان وهم كفرة فتعاطوا افعال المخادع على
ظنهم واصدق شاهد على انه مجاز نفيه بعقب اثباته فى قوله تعالى وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون
ففى هذه السمة نفى احتمال الحقيقة حتى تتعين جهة المجاز ومما عده الاصوليون من علامات المجاز صدق نفيه
هكذا قرر العلامة ناصر الدين ابن المنير هذا المحل فتامله فانه نفيس الكلام **وقد ذكرنا** هنا فائدة
لم ار بأسا بالاتيان بها وهى ان الخداع والغرور والكيد والمحال والمكر والسحر والخب والحيلة والغيلة
والتمويه والتدليس اخوات يلتقين فى الاصابة بالمكروه من وجه خفى ثم تفترق بفروق لطيفة ففى
الخداع ايهام من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارس يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج
من باب اخر وفى الغرور ترقب غفلة يقال غره اذا اغتفله وفى الكيد ادارة من التهلكة من قولهم للمجهض
يكيد بنفسه وفى المحال افراط فى الكيد وقوة من قولهم فلان محل شديد الكيد وفى المكر طى السوء عن التفطن
له من قولهم جارية ممكورة اى مطوية الخلق وفى السحر محو بالشعور لانهم كانوا يعتقدون فيه انه يمحق
المسحور ويذهب ٭ واصله من سحره اذا اصاب سحره وفى الخب الكلاش وخبث وفى الحيلة تغير
من حال الى حال من التحول وفى الغيلة اذهاب وابعاد من غاله الغول والغول البعد وفى التمويه
تخبير واصله الحديد وغيره يطلى ظاهره بالزرياب وهو ماء الذهب وفى التدليس اخطاء من الدلس
وحقيقة الخداع انزال غيرك عما هو بصدده بامر تبديه على خلاف ما تخفيه فتامله ٭
قال عند الكلام على قوله ٭

وعادة النصل ان يزهى بجوهره ٭ وليس يعمل الا فى يدى بطل

ان تكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هى التى دخولها فى الكلام كخروجها كقوله تعالى فلما
ان جاء البشير **اقول** اذا كان الزائد هو الذى دخوله مساو لخروجه لزم ان يكون الاتيان به
عاريا

عاريا عن الفائدة فيمتنع دخوله فى الكلام البليغ فضلا عن الكلام المعجز الذى ارتقى الى اعلى درجات
البلاغة فكيف يصح اطلاق الزائد على كلمة بل على حرف منها فى القران مع التصريح بان معنى الزائد ما ذكره
والحق ان الزائد هو الذى لا يضر خروجه ويفيد دخوله التوكيد لمعنى ما جىء به لما ذكره ولا شك ان لما تفيد
وقوع الفعل الثانى عقيب الاول وترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك على ان جمعا من فضلاء النحويين
يتحاشون عن اطلاق الزائد على ما يقع فى القران وان كان مفيدا للتوكيد صونا لحمى هذا الكلام الشريف
من ان يطلق عليه لفظ يوهم نقصا ويسمون الزائد ما اغنى المذكور صلة ولعمرى انه لمقصد حسن
وانت ترى هذا الرجل كيف فسر الزائد بما يقتضى كونه حشوا ثم مثل باية من كتاب الله نعوذ بالله من
الجهل **قال** عند الكلام على قوله ٭

ما كنت اوثر ان يمتد بى زمنى ٭ حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

وكان ناتى زائدة فى مثل قول الشاعر ٭ سراة بنى ابى بكر تسامى ٭ على كان المطهمة الجياد
وقول اخر ٭ فكيف اذا مررت بدار قوم ٭ وجيران لنا كانوا كرام ٭ **قلت**
قد مثل بهذا البيت جماعة من اهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها
وزيادة اسمها فانها هنا مع اسمها اما فى البيت الاول فمسلم انها زائدة لانها لم يصحبها اسمها وفى البيت
الذى اورده يحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتاخير تقديره وجيران كرام كانوا لنا وا...
وهذا متجه ولم ار من ذكره **اقول** للقائل بزيادة كان فى البيت الثانى ان يمنع كون الضمير
المصاحب لها مرفوعا وتقرير البيت ذكره ابن عصفور وهو انه قال نتصور زيادة كان فى
هذا البيت على ان يكون اصل المسئلة وجيران لنا هم كرام ولنا فى موضع الصفة لجيران وهم
فاعل بلنا على حد مررت برجل معه صقر صائدا به غدا الا انه قد نص على ان صقرا مرفوع
بمعه لانه لو قدر المجرور خبر الصقر لكان النية به التاخير لان النية فى الخبر ان يكون بعد المبتدا
واذا كان صفة وصقر مرفوع به كان فى موضع لا ينوى به التاخير واللفظ اذا امكن ان يكون
فى موضعه لم يجز ان ينوى به الوقوع فى غير موضعه ثم زيدت كان بين لنا وهم لانها تزاد بين
العامل والمعمول وصار لنا كان هم ثم اتصل الضمير بكان وان كانت غير عاملة فيه لان
الضمير قد يتصل بغير عامله فى الضرورة كقول الشاعر ٭ وما علينا اذا ما كنت جارتنا ٭
الا يجاورنا الاك ديار ٭ والاصل الا اياك ثم وصل الضمير للاضطرار وان كانت غير عاملة
فيه لان الاستثناء منتصب عن تمام الكلام انتهى **قلت** فلعل القائل بزيادتها قصد هذا فلا
يرد عليه ما ذكره الصفدى من لزوم القول بزيادتها مع اسمها واما تخريج البيت على التقديم
والتاخير والاصل وجيران كرام كانوا لنا فهو ما قال به ابو العباس واكثر النحويين وصرحوا
بان كان فى البيت المذكور ليست زائدة فقالوا كانوا كان واسمها ولنا فى موضع خبرها والجملة
فى موضع الصفة وجيران وكرام صفة بعد صفة وذلك نظير قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه
مبارك ومنه قول امرئ القيس ٭ وفرع يغشى المتن اسود فاحم ٭ وقد عزا الشيخ اثير الدين
ابو حيان الى ذلك وهو شيخ الصفدى الذى لوح باختراع هذا التوجيه المنقول عن اكثر النحاة
كما سبق **قال** عقب الكلام على قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ما نصه
قلت تقدير كان فى الاية الكريمة تامة بمعنى وجد وحدث بعيد لان عيسى لم يخلق ابتداء
فى المهد وتقديرها زائدة اجود **اقول** لا نسلم انه يلزم من تقدير تمامها ان يكون المعنى
انه اول خلق عيسى عليه السلام كان فى المهد كما ادعاه واى وجه يدل على ذلك وما ادعاه اجود

Copyright King Saud University